المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذلَّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، فقال ﷻ :{وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى الله مَوْلاهُمُ الحَقِّ أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ} [المائدة: ٦١، ٦٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: كتب الموت على كل الخلائق، وهو حي لا يموت، فقال ﷻ :{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص:٨٨].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : بين لنا الفرق بين ما كانت الآخرة همه والدنيا همه، فروى الترمذي أن الرسول ﷺ قال:«من كانت الآخرة همَّه: جعل الله ﷻ غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه: جعل الله ﷻ فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم ينلْ من الدنيا إلا ما كتبه الله ﷻ له، فلا يمسي إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً».

أما بعد:

فإن هذا الامتداد الإنساني المتلاحق سيتوقف يوماً، وسيأتي اليومُ الذي ينتهي فيه الوجودُ الإنساني كله، بل سيُدمَّر فيه الكونُ كلُّه، فتنطفئ نجومُ الليل جميعاً، وتتوقف أمواجُ البحر، ويبيسُ الزرعُ كله، وتجف مياه الأنهار والعيون.

ولكن يجب أن يعلم الجميع أن هذا الفناء ليس هو النهاية، بل هو مرحلة في الأطوار التي يمر بها الإنسان، وسيأتي يومٌ نعود جميعاً فيه إلى الدار الآخرة؛ لنحاسب على ما قدمنا وعملنا، فقال ﷻ :{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ} [الحجر:٤٨].

وقال ﷻ :{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى الله المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ} [المؤمنون:١١٥، ١١٦].

والارتباط بين الدنيا والآخرة ارتباطاً وثيقاً، فالدنيا بمثابة الحرث

والزرع، والآخرة بمثابة الجني والحصاد، فالدنيا مزرعةٌ للآخرة.

قال علي ﷺ :

النفس تبكي على الدنيا وما فيها وقد ::: علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ::: إلا الذي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها ::: وإن بناها بشر خاب بانيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ::: فلا شك أن الموت يفنينا ويفنيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ::: ودارنا لخراب الدهر نبنيها
واعمل لدار غد رضوانُ خازنها ::: والجارُ أحمد والرحمنُ ناشيها
قصورها من ذهب والمسك طينتها ::: والزعفران حشيش نابت فيها

وإن الأرواح في القبور تتفاوت تفاوتاً كبيراً، وهذا على حسب عمل كل إنسان في الدنيا، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أرواح الأنبياء: وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين في الرفيق الأعلى، فروى البخاري أن عائشة "رضي الله عنها" سمعت الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول:«اللهم إلى الرفيق الأعلى».

والأنبياء متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، فقال ﷻ :{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [البقرة: ٢٥٣].

وقال ﷻ :{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء:٥٥].

ثانياً: أرواح الشهداء: وهؤلاء أحياء عند ربهم يُرزقون، روى أحمد والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ :«لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة نُرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد، قال: قال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله ﷻ قوله:{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩].

وروى الترمذي والحاكم أن الرسول ﷺ قال:«رأيت جعفر بن أبي طالب

ملَكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين».

ثالثاً: أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، لما رواه أحمد ومالك أن الرسول ﷺ قال:«إنما نسمة المؤمن طائر يعلق (يأكل) في شجر الجنة، حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم يبعثه».

رابعاً: أرواح العصاة: وسوف تلاقي العذاب الذي يناسبها، فروح الكاذب تعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى تبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة، يشدخ رأسه بصخرة، والزناة يُعذبون في ثقب مثل التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في نهر من دم، وعلى الشط من يلقمه الحجارة.

خامساً: من يكون روحه محبوسة على باب الجنة: روى أبو داود عن سمرة ابن جندب قال: صلى بنا الرسول ﷺ فقال:«ها هنا أحد من بني فلان؟»، فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل فقال:«إن فلاناً الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه، فإن شئتم فافتكوه، أو فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله ﷻ».

سادساً: أرواح الكافرين: وتكون في الأرض السفلى، قال ﷻ :{وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج:٣١].

ومن هذا المنطلق شرعنا بعون الله ﷻ وتوفيقه في كتابة أسباب العذاب في القبر، حتى يكون الإنسان على حذر وحيطة، ويبتعد عن كل ما هو يجلب العذاب في القبر.

فالقبر كما قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي والطبراني في معجميه الأوسط والكبير:«الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ».

وفي النهاية أدعو الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي:{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:٨٨، ٨٩].

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ

د. جهاد محمود الأشقر

ميت العامل – أجا – دقهلية